رحيلٌ غيرُ مُتّفَقٍ عليه

ربّما لا تكون قصيدة، ولكنها همسةُ وفاء لروح صديقي المربّي الفاضل والشاعر/أ. (معتوق العيثان.. أبي عبد الله) رحمه الله تعالى.

رحيلُكَ لن أُوَفّيهُ عَزاهُ

ولو أفرغتُ روحيَ في رِثَاهُ

ذبيحُ الذكرياتِ أنا، وشِعري

خلاصةُ ما تدفّق من دِمَاهُ

وصوتُ الحبرِ ليسَ سوى دعاءٍ

يؤمّل أن تعودَ على صَدَاهُ

رحيلُكَ غيرُ مُتّفَقٍ عليهِ

وما حَدّثْتَنا عن منتهاهُ!!

متى تاريخُ عودتِكَ المُرَجّى؟!

أَتَذكِرَةُ الإيابِ بها اشتباهُ؟!

أسائلُ عنكَ (عبدَ الله)؟ يبكي..

كـــأنّ َ الـــدمـعَ صـــارَ لـــهُ أَبَـــاهُ !!

فـــيـــا مَـــنْ لـــم يـــزلْ يَـــنْـحَـلّ ُ فـيـنا

(أَنًـــا) حـتّ َى تـنـازلَ عـــن (أَنَـــاهُ)

مَـــا كُـنّ َا نـسـيرُ مَـعًـا! لـمـاذا انْ-

عَـطَـفْـتَ؛ وسـارَ كُـلّ ٌ فـي مَـدَاهُ ؟!

خَـتَـمتَ الـمـسرحيّ َةَ؟! أَمْ تَـنَـاهَى

بِـــكَ الـــدّ َورُ الـقـديمُ لِـمَـا تَـــلاهُ ؟

رحـــيـــلٌ لا يُـــفَـسّ َرُ.. غـــيـــرَ أَنّ َـــا

نُـــفَـسّ ِرُهُ لـنَـنْـجُـوَ مـــن لَـظَـاهُ

خَـبَـزْنَـا الـحُـبّ َ فـي فُـرنِ الأمـاني

وأَطْـعَـمْـنَـا الـمـشاعرَ مـن قِـــرَاهُ

وخَـــانَـتْ نـــارُ ذاك الـفُـرنِ حـتّ َى

بَـكَـى الخَـبّ َازُ واحترقتْ يَـدَاه

عـــاكَ الـنـعـشُ نَـعْـيَـةَ حـامـلِـيـهِ

فـــأَنّـَ الـــرمـلُ أَنّـَـــةَ مَـــنْ حَـــثَـاهُ

جـراحيَ فـيكَ شـتّـَى حـيث جـرحٌ

أراهُ، وحـــيـــــث جـــــــرحٌ لا أراهُ

ومِـثـلِيَ مَـــنْ يُـعَـزّـَى فـيـكَ صـبرًا

فـحـاليَ حـــالُ مْـــنْ دفـنـوا أخـاهُ

أَحَـــقّـًـــا لـــــن تُـطَـوّـِقَـنـي بـــزَنـــدٍ

غَـنِـيتُ بـهِ وِشَـاحًا عـن سِـوَاهُ ؟!

ولـــن يـنـسابَ لـــي مـنكَ الـمُحَيّـَا

بـبِـشْرٍ كـنتُ أسـبحُ فـي نَـدَاهُ ؟!

ولـن تـستنهضَ الـفُـصحَى فتأتي

إلـيـكَ، وكـلّـُ حـرفٍ فـي قُـوَاهُ ؟!

ذبـيـحُ الـذكـريـاتِ أنـــا؛ ذبـيـحٌ

بـطَـيـفٍ مـنـكَ لَـوّـَحَ مـن عُـلاهُ!

يـزمـجـرُ داخـلـي نـهـرُ الـمـعاني

ولـكـنّ َ الـصـخـورَ تـسـدّ ُ فـاهُ

إذا مـا لاح شـخـصٌ مـنـكَ سَـمْـحٌ

وسَـمّ َرَنـي إلـيـكَ الانـتـبـاهُ :

رأيـتـكَ مـعـجمَ الأخـلاقِ يـمشي

عـلى قـدميهِ.. يَـقصِدُ في خُطاهُ!

رأيـتـكَ زمـزمَ الإيـمـانِ يـجري

بـطُـهـرٍ لـيـسَ تـحـويـهِ الـمـيـاهُ

فـيـا روحَ الـفـضـيلةِ فـي زمـانٍ

يـكـادُ نـهـارُهُ يـنـعَـى ضُـحـاهُ

رعـى الـزّ ُهْـدُ الـمُـقَـدّ َسُ مـنكَ قـلبًـا

فـلـم تـأخـذْ نـصـيبَكَ مـن هَـوَاهُ

أَلَـبَـسْـتَ نَـفْـسَـكَ غـيـرَ ثـوبٍ•

عـــلـــى تـــقـــواكَ قـــد زُرِّتْ عُـــرَاهُ !

شـديـدٌ فـــي بـيـاضِـكَ، لا تُـعـادي

لـيَـنـسِـبَـكَ الـسـوادُ إلـــى عِـــدَاهُ!

جَـمَـالُـكَ لا يُـــرى جَـمـعًـا، ولـكـنْ

لـــكُـلِّ مـــا اسـتـطـاعتْ مُـقـلـتـاهُ

ولـــو جَـمَـعَـتْ عـيونَ الـنـاسِ عـينٌ

رَأَتْـــكَ كـمـا تَـصَـوَّرَكَ الإلـــهُ!

يـتـيـهُ بـنـا الـوداعُ وقـد دخـلـنا•

مـسـاحـتَـهُ، ويَـتَّـسِـعُ الـمَـتَـاهُ

فـمَـنْ أودَى بـحُـلْـمِـكَ فـي ربـيعٍ؟!

وفـضَّ الـوردَ مُـفـتَـرِسًـا شـذاهُ؟!

وأغـلـقَ بـابَ عُـمـرِكَ فـي الـلـيالي

عـلـى قَـدَرٍ تـعـجَّـل فـي قَـضاهُ؟!

ومَنْ أرخَى السّدُولَ على التجلّي

فأطفأَ ما تَنَوّرَ من بَهَاهُ؟!

نَفَضْنَا منكَ أيدِيَنا وعُدْنَا

تُوَحّدُنَا على ذكراكَ آهُ!!

وما نُفِضَتْ - من الحُبّ - الحنايا

ولا نُفِضَتْ - من الذّكْرِ - الشّفَاهُ

فما زلنا نُؤَانِسُ منكَ طيفًا

يُشرِعّ بذكرياتِكَ في رُؤَاهُ

نحاولُ أنْ نضيءَ الوقتَ مهما

خبا قبسُ الحقيقةِ من سَنَاهُ

لنا في الموتِ بوصلةٌ، ولكنْ

نُوَجّهُها، وليسَ لها اتّجاهُ !

مسافاتٌ هِيَ الدنيا، وليلٌ

شريدٌ من دُجاهُ إلى دُجاهُ

ونحنُ سُراةُ هذا الليلِ قِدْمًا

نموتُ إذا نُفَرِّطُ في سُرَاهُ